فرقة التمثيـــل

للأستاذ زكي طليمات

المدير الفني للفرقة المصرية سابقاً

يسرني أن يتجه الجدل بيني وبين الأستاذ حبيب الزحلاوي إلى ما يفيد منه القارىء ويعلي جانب الحق .

في مقاله الأخير، تحت هذا العنوان ، يزعم السيد الزحلاوي أنه مثالي في نظرته إلى أعمال الفرقة المصرية ، ولهذا كتب ما سبق أن كتب . وهذا الزعم إنما هو بادرة شعورية من جانبه لخلجة لاشعورية في خبيئته الباطنة ، أقامها عقله الواعي تبريراً لما حاوله من تجريح أراده في فلم يفلح .

بيد أن المثالية الحقة العادلة في مهمة فرقة للتمثيل إنما تستمد عناصرها مما هو عليه المزاج السائد والمستوى الثقافي العام في البلد الذي تعمل فيه هذه الفرقة . فما هو مثالي في مهمة فرقة تعمل في لندن وباريس لا يمكن أن يكون كذلك من جانب فرقة تعمل بين القاهرة وجرجا وكفر الشيخ . أقرر هذا باعتبار أن دور التمثيل للجمهور أولاً وأخيراً . فإن لم يقبل عليها فلا فائدة من قيامها ، وأن فن التمثيل ثقافة اختيارية لا إجبارية ، وأن السواد الأكبر من المسرحيات التي تقدم يجب أن تكون في متناول فهم واستساغة السواد الأعظم من الجمهور .

ولا أتدخل في هذا الصدد في (المثالية المطلقة) لأن تحقيقها فيما نحن فيه يقف جامداً عند حد القولة الفرنسية (Vouloir n' est pas pouvoir) ومفادها شتان ما الازماع والانجاز ! !

مثالية المسرح المصري في الوقت الحاضر — والأسف لا يحسه سواي — لا يمكن أن يكون أكثر من الأخذ بالتوسط والاعتدال بين ما يجب أن يقدم وما يمكن أن تقدم من المسرحيات بحيث يكفل ما يقدم في مجموعه إقبال الجمهور على دور التمثيل ، هذا الإقبال الذي يبرر وحده قيام هذه الدور وفتح أبوابها .

عرفنا هذه المثالية على ضوء التجاريب ، وليس على هدى النظر ، وأخذنا بها على أحسن وجه ، وأشرنا إليها في البيان الذي تصدرت به برامج مسرحيات الفرقة في كل عام ، فقد جاء فيها بالحرف الواحد « ورسالة الفرقة وهي أدبية وفنية تهدف

بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال : يا نبي الله ، والله لقد رُحْتَ في ساعة مبكرة ما كنت تروح في مثلها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أوَما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأيُّ صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أُبيّ . قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل . قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ، أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً

وإن في هذا الدليلاً على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أهمل هذه القضية وهو يعلم صحة تلك المؤامرة ، ولكن زيد بن أرقم أصابه من ذلك هم لم يصب مثله قط ، فجلس في بيته لا يظهر لأحد ، ومكث مختفياً عن الناس حتى أنزل الله في شأنه — إذا جاءك المنافقون — الآيات إلى قوله (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ، يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)

فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى زيد بن أرقم فقرأها عليه ، ثم قال له : إن الله قد صدقك . ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشأ بعد هذا أن يثير تلك القضية ، وآثر أن يمضي في إهمالها . وقد قالوا إن في هذه القصة من الفوائد ترك مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات لئلا ينفر أتباعهم ، والاقتصار على معاتبتهم وقبول أعذارهم وتصديق أيمانهم وإن كانت القرائن ترشد إلى خلاف ذلك ، لما في ذلك من التأنيس والتأليف

وإني أرى أن ما حصل من أولئك المنافقين لا عقاب عليه في الدنيا ، لأنهم تآمروا على شيء وبلغ عنهم قبل أن يشرعوا فيه ، ولا مؤاخذة على مثل هذا في كثير من الشرائع القديمة والحديثة ، وإنما تؤاخذ الشرائع بعد المضي في الفعل ، واقتراف الجرم ، رأفة بالناس ورحمة بهم ، وجمعا بين الشدة واللين ، والعقاب والعفو ، لأن أمر الناس لا يصلح بالشدة الخالصة ، كما لا يصلح باللين الخالص ، وفي أخذهم بالعزم على الجرم قبل اقترافه قسوة يأباها العقل ، وقد عفا الله عن الهمّ بالسيئة ، وجعل لمن هم بها ولم يفعلها حسنة .

عبد المتعال الصعيدي

إلى المستوى الرفيع فى الأدب ولكن من غير تعال على مايستسيغه الخاصة من الجمهور ، ومن غير إسفاف إلى مجاراة العامة ، وهى رسالة سامية بأغراضها متواضعة بوسائل تحقيقها » .

وإخراجنا (شهر زاد) و (يوم القيامة) ، كل واحدة فى بداية كل عام فحسب ، يحقق القسم الثانى من رسالة الفرقة وهى الموسيقى باعتبار أنها « الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى » فلا لوم ولا تثريب علينا .

وفوق هذا فليس فى هاتين المسرحيتين الغنائيتين ما يخرج على شرعة النوع الذى ينتميان إليه وهو « الأوبريت » وإن كنت آسف على شىء فى إخراجهما على المسرح فلأنه لم يتيسر لى عناصر الرقص الاجتماعى Ballet الذى هو ركن رئيسى فى هذا النوع من المسرحيات .

ومن التعسف والحيف أن نطالب هـذا النوع بمعالجة مشكلات المجتمع ، والكشف عن خبايا النفس البشرية بالتحليل النفسى الدقيق ، وأن تنبسط أطرافه إلى الفلسفة والأخلاقيات واللاهوت .

ومسرحيات « كلنا كده » و « سلك مقطوع » و « قطر الندى » و « شارع البهلوان » ليس فى تقديمها ضير ولا إفساد ولا انحراف عما يجب أن تكون عليه المسرحية الباسمة ، لأنها كلها فكاهيات ظاهرها هزل وباطنها جـد ، تحفى كل واحدة منها وراء مظاهرها المفرحة موضـــوعاً له أثره فى التبصير والتقويم الخلقى . فمسرحية « كلنا كده » توحى بأن الحياة للخطأ والتوبة . والثانية تلوح بأن التمادى فى توخى القصاص من جانب المرأة للرجل فيه مدعاة إلى تعقيد الأمور والتردى فى أخطاء أخرى . والثالثة تقرر أن الجريمة إلى قصاص وأن الشر لا يكون طريقاً إلى خير . والرابعة ، على إغراقها فى الهزل ، إنمـا هى سخرية من الغيرة العمياء . مسرحيات باسمة تثير الضحك فى وقت عز فيه الابتسام بفعل ضائقة الحرب

وكلها للردع وللايحاء بما يجب أن تكون عليه جوانب من الحياة ليسعد الناس ويستريح القاضى . فأين فى هذه المسرحيات ما يشين ؟ ومن أين جاء للسيد الزحلاوى أنفى اعترفت بأنها مشينة ومقالى السابق بين يدى القراء[1] ؟ ؟

أما مثالية الأستاذ الزحلاوى ، ومفادها « أن تكون الفرقة مائة فى المائة المسرحيات الرفيعة ، ولا يهم أن يحضرها الجمهور أو لا يحضر » فأقول عنها إنها ضرب من الاجتلاب شف عما وراءه ، ولون من التعالم النظرى ، ومحاولة للسطوع واللمعان من ضوء غيره .

وأعجب مما تقدم أن يبرر الأستاذ مطالبته بهذه المثالية بزعم أن الفرقة المصرية « حكومية بكل معانى الحكومية » ! وكأن الحكومية فى روعه مدعاة إلى أن تغير الأشياء من طبائعها وتبدل من عناصرها وتتردى فى مهاوى الفشل والخيبة لخروجها على محاور ذاتيتها ، فتكون الفرقة هيئة لا يحسنها إلا القعدون ولا يأبه لها إلا الخالدون ، تعيش على هامش الحياة كالتكاء وملاجئ العميان ...

« وحكومية » الفرقة ، وهم من أوهام الأستاذ الزحلاوى ؛ لأنه من أولى مستلزمات هذه « الحكومية » أن تدفع الحكومة أجور الممثلين وكافة مصاريف الفرقة ، وهـذا غير ما هو واقع فى الفرقة ، وقد سبق أن قررت أن الفرقة هيئة تشملها رعاية الحكومة كما تشمل هيئات أخرى تمدها بالإعانة ، وأن الإعانة التى تدفعها لا تفى بأجور الممثلين فحسب .

لندع الأوهام ولنواجه الحقائق . . إن مسرحنا المصرى كائن كما يستحق كل مصرى أن يكون ، وكما نكون نحن يكون مسرحنا . ونحن نستطيع أن نقدم مسرحيات لشا كسبير وموليير وديماس الإبن وأوسكار وايلد وإيملى برونتى إلى جانب فكاهيات ومحاولات من وضع أقلام مصرية لم يصل إلينا خير منها ، نقدمها على مضض لتغرى الجمهور على غشيان مسرحنا وتذوق مسرحيات من ذكرت من صفوة المؤلفين العالميين ، ونحن فيما نفعل نرقص على إيقاع الزمان ونصدر عن مثالية المسرح فى بلد لا أود أن أذكر النسبة المئوية فى متعلميه . فإذا كانت هذه الحال تعض السيد الزحلاوى حقاً فليجرد قلمه على الجمهور يوجهه ويستحثه على مشاهدة النفيس من المسرحيات ، فهذا أجدى به ، وبنا أبر وأكرم . أما أن يوبس الثرى بيننا وبينه مسوقاً بنطحات عاطفيـة وشطحات شخصية لا ترتكز على الروية والاعتبار فأمر أرجو أن يعاود النظر فيه .

زكى طليمات

(١) الرسالة ٥٩٨ ص ٢٠٠٨ السطر ٢٢ بالعمود الثانى ، وهذا نص ما أوردته وصفاً لجانب هـذه المسرحيات (ذلك الجانب الذى لا يؤاخذ عليه إلا صاحب التجنى والهوى) .